يهتم بالزاك اهتماماً فائقاً بالعلاقات الاقتصادية والمالية، حتى أننا نجد في كل رواية من روايات «مهزلته الإنسانية» الدائن والمدين، والفوائد الضخمة، والمرابين الجشعين، والمضاربات، والتجار، وما إلى ذلك مما يتصل بالناحية المالية[٣٧].

ومما يذكر في هذا المجال أن «أنجلز» يؤكد أنه تعلم الاقتصاد من بالزاك أكثر مما تعلمه من جميع كتب المؤرخين والاقتصاديين[٣٨].

ويهتم بالزاك أكثر من ذلك بما تتركه هذه الناحية من آثار بليغة في العواطف والأخلاق والمثل الإنسانية. وكأن بالزاك يريد أن يحدد نوعية تفكير وقيم شخص ما بمعرفة ما يملكه هذا الشخص[٣٩]. وفضلاً عن كل هذا فإن بالزاك يعد مؤرخاً للعادات والتقاليد والألوان المحلية لعصره، سواء في الأرياف أم في المدن.

ولنبدأ برواية «الأب غوريو» التي أشرنا إليها سابقاً. نرى في هذه الرواية جماعة من الفقراء الذين عضهم الدهر بأنيابه القاسية ثم رمى بهم في فندق حقير بحي متواضع من أحياء باريس.

ومن أبرز شخصيات هذه الجماعة نقابل العجوز المسكين «غوريو» الذي ماتت زوجته وخلفت له فتاتين كان يحبهما حباً عظيماً، خلافاً لما رأينا من إهمال الأب «كارامازوف» لأبنائه. كان الأب «غوريو» عاملاً بسيطاً، ولكنه كد وتاجر، واقتصد حتى استطاع أن يمتلك مصنعاً صغيراً لإنتاج المواد العجينية. وكان يدلل ابنتيه كثيراً، ويلبي لهما جميع رغباتهما. وقد زوجهما من رجلين ينتميان إلى الطبقة البورجوازية الأرستوقراطية باذلاً في سبيل ذلك كل ثروته التي تعب في جمعها. ولكن صهريه كانا يمنعان المال عن زوجتيهما، مما جعل الأب غوريو العجوز يضطر إلى الإنفاق على نزوات بنتيه حتى بعد الزواج. وهذا ما أدى به إلى التقتير الشديد على نفسه. والنزول في ذلك الفندق القذر، فندق السيدة «فوكه».

ولكن الفتاتين لم تقدرا طيبة والدهما، بل أنكرتا جميله وأبوته وفيض